Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

أما رأيت أنه يفهم عن البلبل نداءه ويشاطره همومه . ويحس شجى الأطيار . بل يستشفه خلل غنائها ولا يخدعه منها هذا الغناء ... ولكن الطبيعة التى يسمعها لا تسمعه ولا تجاوبه ... وما ظلمته فهى كشجر الحابور لا يهمها منا ضحكنا والبكاء اذ هما لديها سواء ... ولكن على الشاعر وحده يقع اللوم ... اذ ينبغى أن يتقدم منها خطوة أخرى بعد الوصف الخارجى . ينبغى أن يتعمق حركاتها وسكناتها ويرهف السمع فى مجاليها فيسمع هتفة الوردة حين تخرج من الكم ، ويسمع لفيف الزهرة حين تخايلها الفراشة ذات الألوان ، ويسمع حفيف الشجرة فى جوقة الألحان ، ويسمع زفيف الريح حتى فى الليل الصاخب ، ويسمع انثناءة الغصن فى حنوه على الغدير ، واعتداله ، فى انصياعه للنسيم ، يسمع كل خطرة وكل رفة ، وكل لفتة ... ينبغى للشاعر أن يصطنع مع الطبيعة سيرة النحل مع الزهر يتودد اليها ويسارها ويشاكيها الهوى ويشور جناها ، ويزيد عليه ان يستنطقها ويكب عليها من نفسه ولو قدرا تحس به معه ، وتشاطره ، وتختلج من أجله .

يقول الأخطل الصغير (١) :

أنا ساهر والسهل فى حضن الطبيعة كالغلام
وكأمه فتحت ذرا عيها ليهنأ بالمنام
يغفو ويحرس ثغره روح البنفسج والخزام
السهل نام فلا حسرا ك ولا هتاف ولا بغام

صورة هادئة كالعناصر المشتركة فى تكوينها فالأمومة المفتوحة الذراعين ، والطفولة الوسنانة الموعودة بالهناء الماثل ، والاغفاء والبنفسج كل هذا يلطف ويفتر . واذا كان السهل قد غشته تهويمة من نعاس فلا غرو أن تكون صورة الشاعر هادئة ساكنة لتكون انعكاسا صحيحا للجو الذى صورته ، وترجمة صادقة للمنظر الذى تحتفل به وله .

أنا ساهر والبحر أخرس لا هدير ولا احتدام
كالمارد الجبار منطرح على صدر الرغام
فكأنه والرمل الفا صبوة منذ الفطام
فتعانقا عند المنام وملء ثغرهما ابتسام
فى ذلك الصمت الرهيب وذلك الليل الجهام
ما كان يخفق غير قلب كاد يتلفه السقام

---

(١) قصيدة قلب خافق ص ٦٤ و ٦٥ و ٦٦ .